

التبيان في تفسير القرآن

(299) والوجه في إضافة الزيادة في الهدى إلى الله هو ما يفعله تعالى بهم من اللطف التي تقوي دواعيهم إلى التمسك بما عرفوه من الحق وتصرفهم عن العدول إلى خلافه. ويكون ذلك تأكيداً لما عملوه من الحق وصارفاً لهم عن تقليد الرؤساء من غير حجة ولا دلالة. ثم قال (وآتاهم) على زيادة الهدى (تقواهم) أي خوفاً من الله من معاصيه ومن ترك مفترضاته بما فعل بهم من اللطف في ذلك. وقيل معناه (آتاهم) ثواب (تقواهم) ولا يجوز أن يكون المراد خلق لهم تقواهم لأنه يبطل أن يكون فعلهم. ثم قال (فهل ينظرون إلا الساعة) أي ليس ينتظرون إلا القيامة (أن تأتيهم بغتة) أي فجأة، فقله (أن تأتيهم) بدل من الساعة، وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة، فإن حذف الساعة كان التقدير هل ينظرون إلا إتيانهم الساعة بغتة. ثم قال تعالى (فقد جاء أشراتها) أي علاماتها. وقيل: منها إنشقاق القمر في وقت النبي (صلى الله عليه وآله) ومنها مجئ محمد (صلى الله عليه وآله) بالآيات لأنه آخر الأنبياء، فالأشراط العلامات واحدها شرط قال جرير: ترى شرط المعزى مهور نسائم * وفي شرط المعزى لهن مهور (1) وأشرط فلان لنفسه إذا علمها بعلامة، وقال أوس بن حجر: فاشط فيها نفسه وهو مقصم * والقي بأسباب له وتوكلا (2) والفاء في قوله (فقد جاء أشراتها) عطف جملة على جملة فيها معنى الجزاء، والتقدير إن تأتيهم بغتة، فقد جاء أشراتها. وقد قرئ شاذاً عن أبي عمرو (إلا إن) والقراءة بفتح (أن) وقال المبرد: هذا لا يجوز لأنه تعالى أخبر أنه لا تأتي الساعة إلا بغتة، فكيف تعلق بشرط. وقال تعالى (فأنى لهم) أي من أين لهم (إذا _____ (1) الطبري 26 / 30 (2) الطبري 26 / 31 (*)